

الفارابي في الشرق والغرب

ومكاته في الفلسفة الإسلامية

تمة -

الاستاذ ضياء الدخلى

والحقيقة أن سمر مكانة الفارابي في الفلسفة كان حديث المتقدمين ولم يزل حديث المتأخرين المصريين . قال الأستاذ (أبو ريده) في تاليفه على كتاب (تاريخ الفلسفة في الإسلام) المستشرق (دى بور) إذا كان الكندى قد اعتبر فيلسوف العرب تمييزاً له عن أقرانه من الفلاسفة غير العرب فإن الفارابي يعتبر فيلسوف المسلمين بالحقيقة كما يقول مساعد الأندلسي في

طبقات الأمم وفيلسوف المسلمين غير مدافع كما يقول القفطى في أحوال الحكماء . أما ابن خلكان فإنه يقول في وفيات الأعيان إن الفارابي كان أكبر فلاسفة المسلمين ولم يكن فيهم من بلغ رتبته . ويقول طهير الدين البيهقي في كتابه تاريخ حكماء الإسلام المخطوط في دار الكتب المصرية، وكان أبو علي تلميذاً لتصانيفه ، وأورد هذا الرأي الشهرزورى أيضاً في كتابه زهرة الأرواح وروضة الأفراح المصور بمكتبة الجامعة المصرية . ويكاد يلمس الإنسان صحة هذا الكلام فيما يفوق الحصر من آراء ابن سينا التي أخذها عن الفارابي من غير تغيير حتى في ألفاظها . ونكاد لا نجد في فلسفته شيئاً إلا وأصوله عند الفارابي . ويقول ديتريشى Dieterici في مقدمته لرسائل الفارابي (إن الفارابي مؤسس الفلسفة العربية) (١) والذي يقرأ الفارابي يجد في تفكيره طرافة ونعوجاً وفهماً عميقاً يدل على طول تأمل في الفلسفة . وإذا كان الكندى الفيلسوف العربي كالمع (دى بور) قريب الصلة بالتكلمين وبالفلاسفة الطليبيين - ونستطيع أن نعرف هذا من أسماء مؤلفاته - فقد لا نكون بعيدين عن الصواب إذا

(١) مقدمة رسائل الفارابي لديترشى

ما كان ومثل محمد في العالم إن يكون) ويتحدث عن القرآن فيقول الضياء قد يهر إشعاعه في حروف وكلمات ، والكهربية إلهية تسرى في عبارات ، والمجزات - لا الشبهات - بينات في آيات . وإلهي من لدن الله يسير في الأرض مع الناس هادياً ودائلاً ذلك هو القرآن الذي يتلوه الفارثون .

محمد دينه التساوى ودينه العدل والصفه ، فلا شريف ولا مشروف ولا كبير ولا صغير ولا أمير ولا مأمور ولا قبيل أفضل من قبيل ولا قوم خير من (بأبيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم) والفضل بالفضل والتقديم بالفعل وأن ليس للانسان إلا ما سعى

رحمك الله إمام العربية ، وأمطر على قبرك شآبيب الرحمة والرضوان جزاء ما أسديت لانتته وفرآته .

لمل السوافيرى

تصفحت الكتاب وجدت في ثنايا صفحاته مراجع أخرى غير التي ذكرت قبلاً فلم أستطع تجاه ذلك المجهود إلا أن أحنى هامتي إجلالاً واحتراماً لتلك القدرة على الدرس والبحث والاستقصاء التي قلما تنهياً لكثير من الناس .

واقدم صدر الفقيه ذلك الكتاب الذي نفذت طبعته بمقدمة صنية جاءت آية في البلاغة والإعجاز وبرهان صدق على تمسك الفقيه بدينه ، واعتزازه بيقينه ؛ إذ يقول عن الإسلام (الإسلام هو دين الحق . ومن ينتفع غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه ومحمد خير الخلق وهذا الكتاب وهذا الأثر وهذا تاريخ البشر فأقرأ كتاب كل دين وانظر أثر كل عظيم وقتس صحف التاريخ واحكم إن كنت من الحاكمين . هات ، هات وهيات أن نجد مثل القرآن وحياً أو رقيماً ، وإذا ذكر نظير محمد نبياً أو عظيماً إن تذكرت أو تفكرت وتعبت وحقت فمثل القرآن كتاب الله ما أوحى الله وما أنزل ، ومثل محمد (سلى الإله على محمد) فمثل محمد في الدنيا

تألفه وفصلوا القول فيها أجمله . ويحتمل إلينا أنه أعرف فلاسفة الإسلام بتاريخ الفلاسفة لذلك نراه يتحدث من المدارس اليونانية وبين الفوارق التي تفصل كل واحدة منها عن الأخرى ويحاول التوفيق بين أفلاطون وأرسطو طاليس (فيلسوف اليونان في رأيه بلا جدال) وقد ألف كتباً عدة بعضها شرح لمؤلفات أرسطو طاليس أو مختصرات لها وبعضها الآخر كتبه ابتداءً ليعبر به عن رأيه ويحمته الخاص وما وصلنا من هذه الكتب كان لفهم نظريته (١) وفي كتاب (زهرة الجليس ومنية الأدب الأبيس) أن الفارابي التركي الحكيم المشهور صاحب التصانيف الشهورة في المنطق والموسيقا وغيرهما من العلوم كان من أكبر فلاسفة المسلمين ولم يكن فيهم من بلغ رتبته في فنونه (٢) ويقول الأستاذ محمد فريد وجدى في (دائرة المعارف) الفارابي أبو نصر التركي الفيلسوف المشهور هو أكبر الفلاسفة الإسلاميين له تصانيف عديدة في المنطق والموسيقا وغيرهما من العلوم لم يكن من المسلمين من بلغ رتبته في فنونه (٣) وترى تقارب العبارتين في الصيغة والمعنى والمبنى ، والظاهر أن مؤلف دائرة المعارف أخذ الترجمة من هذا الكتاب أو كلاهما تطفلاً على مؤلف ثالث ، وكان العباس بن علي بن نور الدين السكي الحسيني فرغ من تأليف زهرة الجليس سنة ١١٤٨ هـ

ويقول الدكتور حسن إبراهيم حسن في كتابه (تاريخ الإسلام السياسي والثقافي والاجتماعي) رمى أشهر فلاسفة الإسلام أبو نصر ويعتبر أكبر فلاسفة المسلمين حتى لقب بفيلسوف المسلمين بالحقيقة وفيلسوف المسلمين غير مدافع (٤) أما ابن تيمزي بردي الأتابكي في (النجوم الزاهرة) فإنه يورد فيمن ذكر التهمي وفاتهم في سنة ٣٣٩ هـ قوله (وأبو نصر الفارابي صاحب الفللفة) (٥) أما أبو الفداء المتوفى سنة ٨٧٣٢ هـ فيكتفي أن يقول في تاريخه وفي هذه السنة توفي أبو نصر

قرنا أن الفارابي أول فلاسفة الإسلام على الحقيقة وقد كان يحيا حياة الفلاسفة من زهد وانقطاع إلى التأمل

وذكر في كلمة (ديترمي) هذه التي تحدثنا من إعجاب هذا الفكر الغربي بالاطراف والنسوج والفهم العميق الذي يدل على طول تأمل في الفلاسفة والأدور التي وحدها في مادونه الفارابي من الآثار الخالدة -- يذكر في هذا بما قرأه للمقاد في رسالته عن (أثر العرب في الحضارة الأوربية) إذ قال إن الآراء الفلسفية التي قال بها أمثال الفارابي والسكندى وابن سينا والغزالي وابن رشد وابن طميل -- لا تمد عربية كل الغزابة عن مذاهب العصر الحديث لأنها لم تحل عن آراء تكلم فيها أساطين الفلسفة الإسلامية وعرضوا لها إما بالإسهاب أو بالإيجاز (١) وقد قال المقاد بعد ذلك ومن المشابهات غير البعيدة (أى بين آراء القدماء والمصريين) ما يصح أن يسمى التطور الأول لمذهب التطور (الذي نسب إلى داروين وكتابه أصل الأنواع) وقد عبر عنه الفارابي حيث قال في آراء أهل المدينة الفاضلة مفسراً لأقوال المعلم الأول إن ترتيب هذه الوجودات هو أن تقدم أولاً أحسها ثم الأفضل فالأفضل إلى أن تنتهي إلى أفضلها الذي لا أفضل منه . فأحسها المادة الأولى المشتركة والأفضل منها الأسطوانات (وهي الأصول والناصر وهي على زعمهم الماء والتراب والهواء والنار) ثم المادن ثم النبات ثم الحيوان غير الناطق وليس بمد الحيوان الناطق (أى الانسان) أفضل منه . وقد تقدم لديترمي أن اعتبر الفارابي المؤسس للفلسفة العربية ويظهر أن هذا الرأي لم يقتصر على ذلك الكاتب الغربي فقد شاركه فيه بعض المؤلفين في الشرق فقد جاء في كتاب (دروس في تاريخ الفلسفة) في رأينا أن الفارابي (٩٥٠ م) على الرغم من جهل الناس به هو الأب الحقيقي للفلسفة الإسلامية فقد شاد بناءها ولم بأجزائها الرئيسية رابطاً بعضها ببعض ولا نكاد نجد فكرة عند خلفائه إلا ولها أصل لديه ، وكل ما لهؤلاء من فضل ظالماً أنهم وضحوها

١ - دروس في تاريخ الفلسفة للدكتور ابراهيم بيوى ورفيقه

٢ - زهرة الجليس

٣ - دائرة المعارف لفريد وجدى

٤ - تاريخ الاسلام السياسي والثقافي والاجتماعي

٥ - النجوم الزاهرة

٢ - أثر العرب في الحضارة الأوربية

(فصول الحكماء) إذ روى مؤلفه السيد محمد أبو الهدى الصيادي الرضائي عن البيهقي أن الفارابي كتباً كثيرة يجهلها الناس وقد قال إن الملامة ظهير الدين البيهقي رأى في خزانة نقيب القضاة لدى كتباً كثيرة من مؤلفات الفارابي لم تطرق سمعه وهي بخط الفارابي (وهذا مما يؤيده العقل إذا رجع إلى الأسباب التقدمية

والحق أن الناس قد تحدثوا كثيراً عن مكانة الفارابي في الفلسفة. قال الأستاذ مصطفى عبد الرزاق يقولون الحكماء أربعة : اثنان قبل الإسلام وهما أفلاطون وأرسطو، واثنان في الإسلام وهما أبو نصر الفارابي وأبو علي ابن سينا. وكان بين وفاة أبي نصر وولادة ابن سينا حوالي ثلاثين سنة. وكان أبو علي بن سينا تلميذاً لتصانيف الفارابي يعترف أنه لولاها لما اهتدى إلى فهم ما بعد الطيبة. وكما لقب أفلاطون بالحكيم الإلهي وأرسطو طاليس بالملك الأول لقب الفارابي بالملك الثاني وابن سينا بالشيخ الرئيس. وآراء الناس مختلفة في تقديم الفارابي أو ابن سينا. يقول ابن خلكان عن الفارابي (هو أكبر فلاسفة المسلمين ولم يكن منهم من بلغ رتبته في فنونه والرئيس أبو علي بن سينا المقدم ذكره بكتبه تخرج وبكلامه انتفع في تصانيفه) أما الشهرستاني فيقول عند الكلام على فلاسفة المسلمين (ومنهم الفارابي وإنما علامة القوم أبو علي بن سينا) فهو إذن يقدم ابن سينا على من اعتبره ابن خلكان أستاذه

وهذا ابن سبويه الفيلسوف الصوفي الأندلسي الذي يقال إنه انتحر بمكة شوقاً إلى الانعزال بالله سنة ٦٦٩ هـ يقول في كتاب له مخطوط ما نصه نقلاً عن المجموعة التي نشرها الأستاذ ماسينيون المستشرق الفرنسي المروف (وأما الفارابي فقد اضطرب وخلط وتناقض وتشكك في العقل الميولاني وزعم أن ذلك محموبه وغرفة ثم شك في النفس الناطقة هل غمرتها الرطوبة أو حدثت بمد وتنوع اعتقاده في بقاء النفوس بحسب ما ذكر في كتاب الأخلاق. كتاب المدينة الفاضلة والسياسة المدنية. وأكثر تأليفه في النطق وعدة كتبته نحو خمسة وسبعين كتاباً وفيها من الإلهاميات تسعة وهذا رجل أفهم فلاسفة الإسلام وأذكى كرم للعلم القديم وهو الفيلسوف فيها لا غير، ومات وهو مدرك

الفيلسوف ثم يتحدث عنه وعن دراسته وأسلوب حياته وأشياء أخرى (١) ولكنه لا يهجه تلك الألقاب الضخمة التي يصفها عليه من ذكره من المؤلفين الآخرين. ويقول ابن النديم من القرن الرابع في (الفهرست) (أبو نصر . من المتقدمين في صناعة المنطق والمعلوم القديمة (٢) وجرحي زيدان من التأخرين يقول عن الفارابي في كتابه (تاريخ آداب اللغة العربية) (وكان فيلسوفاً كاملاً درس كل ما درسه من العلوم وفاق في كثير منها (وخصوصاً المنطق) ويقول الزركلي في (الأعلام) الفارابي ويؤيد بالمعنى الثاني أكبر فلاسفة المسلمين ويقول ابن الأثير في (الكامل) (وفيها توفي الفارابي الحكيم الفيلسوف صاحب التصانيف فيها) ويقصد إعادة الضمير من (فيها) إلى الفلسفة المفهومة ضمناً. ويحدثنا ياقوت الحموي المتوفى سنة ٦١٦ هـ في (معجم البلدان) وإليها (إلى فاراب) ينسب أبو نصر الفارابي الحكيم الفيلسوف صاحب التصانيف في فنون الفلسفة (٣)

وهنا نلاحظ أن ياقوتنا الحموي وابن الأثير وغيرهما يذكرون في التعريف بالفارابي أنه صاحب التصانيف في فنون الفلسفة فلا بد أن تكون لفيلسوف المسلمين جملة مؤلفات ولكن المتداول والمعروف منها شيء زهيد لا يشير الكتاب عن الفارابي لأن ينسبته ويبرقه بأنه صاحب التصانيف في فنون الفلسفة. ثم إن مؤرخي حياته يقولون إنه كان يقضى حياته بين الأشجار يكتب. إذن فهو مواظب دائم على الكتابة والتأليف منقطع عن الناس منزلاً قد توفر وكرس وقته للكتابة وذلك يقتضي أن يكون كثير الإنتاج فأين ذهبت آثاره؟ لا شك في أنه كان له جملة كتب ومؤلفات ضاعت من العالم الإسلامي فيما ضيع من كتب علمائه وفلاسفته بتأثير التكتبات وغزوات التتار

والحروب والفتن الداخلية وقد لاقت كتبه مقاومة عنيفة من الغزالي وأنصاره ومن ابن تيمية وأتباعه ومن الحنابلة الذين لهموا في بغداد أدواراً مهمة في اضطهاد الفلسفة. ويؤيد ما تقدم من ضياع كثير من مؤلفات الفارابي ما وجدته في كتاب

١ - تاريخ أبي الفداء

٢ - فهرست ابن النديم

٣ - جرحي زيدان والزركلي وياقوت الحموي